عندما يكون الطلاق قدراً مقدورا

يقول الحق (عز وجل): ﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ وَلا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

●●●

تمهيد:

كانت البحيرة ساكنة ساجية.. تسر الناظرين.. وتشبع الآكلين. وفجأة قذفها غلام بحجر.. فتغير كل شيء.. وهكذا كانت الأسرة: كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان: رزقها المادي ورزقها المعنوي على سواء.

وعلى غير ميعاد.. هبت العاصفة.. فتغير كل شيء: الذي كان وئاماً صار خصاماً.. والذي كان انسجاماً.. صار تنافراً وانفصاماً.. وكان لابد من تناول آخر جُرعة في قارورة الدواء وهي:

الطلاق.. وآخر الدواء الكي.. وإذا كانت لسعة النار مؤلمة.. لكنها تأتي في أوانها. لتضع حداً لمسلسل المتاعب.. ولتفض الاشتباك بين زوجين.. يتاح لكل واحد منهما أن يعيد ترتيب حياته من جديد.. على ما يقول (سبحانه وتعالى): ﴿ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلاًّ مِّن سَعَتِهِ ﴾ [النساء: ١٣٠].

لقد ظهر.. وبعد المعاشرة أن «تعاضد» الطرفين.. وتعاونهما: غير ممكن.. وإنما كان كل طرف منهما سهماً كان «عاضداً» أي: إن وقع عن

يمين الهـدف. . أو عن يساره. . فلم يصب أحـدهما الهـدف. . وإذا كانت «العضادة» هي جانب العـتبة من الباب. فقد كان المتـوقع طبق الميثاق الغليظ أن يتكاملا. . ليحـقق الله (تعالى) بتكاملهما مـقصود الزواج. . لكن الذي حدث أنَّ جـانبي النافـذة كان «يمينًا» لا ينسـجم مع «يمين» آخر والأمـر في حاجة إلى يمين. . ويسار معًـا ليتم المقصود الأصلي من الزواج. . فكان من الحكمة أن يتفرقا. . ليجد كل طرف نصفه الضائع. . والذي يكون به واحدًا صحيحًا!!

وإذن. . فالطلاق هو عين الوفاق إذا تجمعت أسبابه. ثم فَرضت نفسها فرضًا. يقول العقاد:

(شريعة القـرآن الكريم في مسألة الطلاق شريعـة دين ودنيا. . وكل ما اشـتملـت عليه من حـرمـة الدين. . تابع لما شُـرع له الزواج من المصلحـة النوعية. والمصلحة الاجـتماعية. فليس مما يبيحـه الإسلام أن يتجرد الزواج من مصلحتـه النوعية والاجتماعيـة. . تغليبًا للصبغة العـبادية عليه. . على مشيئة الأزواج. وفي هذه الشريعة القرآنيـة تتوافر جميع الرخص المفيدة التي لجأت إليها أمم الحضارة لتيسير العلاقة بين الزوجين مع المحافظة على الآداب الإجتـماعـية. ولكنها شـريعةٌ إسـلامية تـنظر إلى طبائع الرجـال والنساء. وتتجنب التـشديد الذي لا يُجـدي شيئًـا في المحافظة على قـداسة الزواج. ولكنه يلجئ الزوجين إلى الحيلة للتخلص منه أمام القانون. وإن كانت أظهر من أن تنفـعهم في الـتخلص منه أمـام الناس. الطلاق في الإسـلام مشـوَّه مكروه. لأنه أبغض الحـلال إلى الله كما قـال النبي(عليه السلام). وتُـدفع هـذه القسوة بما يسـتطاع من عمل الزوج والزوجة. وعمـل الأسرة والقادرين في هذا الأمـر على الهـداية والإصـلاح. فـإذا أُحـلَّ بعـد اسـتنفـاد الوسـائل

المستطاعة.. فما حل آخر يغني عنه. وما من تحريم له.. إلا وهو أشد قسوة. وأقل نفعًا من التحليل)[١].

●●●

ولأن الموقف حساس.. والمسألة مسألة حياة أو موت.. كان لابد من ضمانات وآداب تحمي الطرف الضعيف:

وهو المرأة.. ومن هنا جاء قوله (ﷺ): «**استوصوا بالنساء خيرًا**»[٢].

لا يكفي أن تكون مبادرة العطف عليهن فردية متناثرة هنا وهناك، وإنما.. لا بد أن تكون «ظاهرة» عامة.. يتحمل المجتمع مسؤوليتها. ذلك بأنهن أسيرات:

والذي أعطانا إياهن بكلمة الله.. هو الذي يحذرنا بكلمته أيضًا.. حتى لا نقع في شرك الظلم.. بسوء استخدام حقٍّ أتيح لنا.. نعمةً منه (سبحانه).

●●●

ألا وإن حساسية الموقف لَتُلقي بِظِلها على قلب المرأة التي تغادر اليوم عُشها.. بعد ما كانت فيه آمنة مطمئنة.. وقد تنطلق الألسنة بعد ذلك جاعلة من الحبَّة قبة.. مما قد يؤخر فرصة زواجها من آخر يمتد في فراغها.. أو يذهب بالفرصة.. فلا تجيء..

ومن الناحية النفسية.. فإن المرأة التي تودع حياتها اليوم واقعة تحت ضغوط نفسية ثقيلة.. ومن هنا قالوا:

---

(١) المرأة في القرآن (١٠٠/١٠١).

(٢) متفق عليه.

(أعزب دهر.. ولا أرمل شهر).

لقد ذهب الرفيق.. فضاع من قدمها الطريق!

وما قيمة العيش في غياب الرفيق..

إن الله (عز وجل) يقول على لسان امرأة فرعون: ﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾ [التحريم: ١١]، إن أملها الأكبر ينحصر في أن تكون «عنده» (سبحانه) ويأخذ نعيم الجنة مرتبة تالية!

●●●

ثم يقول (سبحانه): ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ﴾ [الزخرف: ٧٠] ، إنه لا قيمة لنعيم.. بلا صاحب .. يقاسمك هذا النعيم.. إنه بالرفيق الصالح «دهر عسل» لا شهر عسل!

●●●

والإسلام العظيم يقف إلى جانب المرأة في لحظة ضعفها هذه.. جبراً لخاطرها.. وتقديراً لظروفها.. وليبقى خط الرجعة قائماً.. ودائماً..

إنسانية الإسلام من خلال تشريع الطلاق

﴿ والْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

●●●

ذكرت الآيات السابقة الأمانة المنوطة بالرجل في حال الإيلاء، في قوله (تعالى): ﴿ لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ... ﴾ [البقرة: ٢٢٦] أي: للذين يحلفون على هجران أزواجهن بعدم مباشرتهن.. عليهم أن يتربصوا: أن ينتظروا مدة أربعة أشهر.. تُحسم بعدها القضية: فإما فراق.. وإما وفاق..

وهذه المهلة مشروعة ليتجرع فيها الزوج كأس الصبر.. بمغالبة نفسه كما تفيد مادة «التربص»: فحروف التربص مقلوب حروف الصبر!!

●●●

والآية التي معنا تَذْكُر الأمانة المنوطة بالمرأة وهي: تربُّصها ثلاثة قروء..

﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ .. ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

والنص الكريم يطالعنا بأمور تؤكد إنسانية الإسلام، وحرصه الشديد على استقرار الأسَر.. لتظل مشدودة الأزر.. قوية البنيان:

أولاً: التربص مضاف: مرة إلى الرجل.. ومرة إلى المرأة.. ويعني هذا: الدعوة إلى السَّتر في كل ما يتعلق بالأُسَرْ. التي ينبغي أن تكون أسرارها طيَّ الكتمان.. وليست على كل لسان.. وذلك بتكفل الرجل..

والمرأة معًـا. . بمباشـرة التربص. . بعـيدًا عن ساحـات المحاكم. . ومـا قد يحدث فيها من إذاعة الأسرار. على مرأىٰ ومسمع من الناس: يقول البقاعي في ذلك: ويعني هذا (إجـراء أمور النكاح على سُـتْرةٍ وإعـراض عن حكم الحكام. من حيث جعل التربصَ ـ لها وله ـ والفيءَ منه.

فكان الحكم من الحـاكم إنما يقع عـلى من هَتَكَ حُـرمة سِـتـر أحكام الأزواج التي يجب أن تجـرىٰ بين الزوجين من وراء سِتْـر. كمـا هو النكاح الذي هو سبب جمعهما، ليكون حكم السر سرًا، وحكم الجهر جهرًا).

●●●

ثانيـًا: من نعمة الله (تعالى) على الأسرة أنه لم يجعل (سبحانه) الأمر بتًّـا: قاطعًـا يقع فيـه الفـراق أو الوفاق بالكلمـة القـاطعة المانعـة. . ولكنه (سبحانه) شرع لهما من الزمن مدة كـافية لمراجعة النفس. وحساب الأرباح والخسـائر. . وهو نفسه المعنى الذي تشـير إليه مـادة الكلمة «الطلاق» والتي تعني:

إطلاق الشيء من الـيـد. . على أنه يمكن اسـتـرداد هـذا الشيء بعـد إطلاقـه. . وذلك معنى الـعِدّة. . التي ليس من الـضروري أن تكون نهـاية المطاف. . بل ربما كانت بدايَةً لمرحلة جديدة. ثم إنهـا المدة التي يوشك صبر المرأة عن زوجـها ينفـذ. فـإن من رحمـة الله (تعـالى) بهـا أن جعل لهـا موعدًا. . لا يرهق أعصابها. . ولا يفلتُ زمامُها من يدها.

●●●

ثالثًا: أن المراد «بالمطلقات» في الآية الكريمة هن:

(المطلقات الأزواج. . اللاتي تحـقق فيهن مـعنى الزوجية. وعـهدن أن يكن مطلقـات. . وأن يتـزوجن بعـد الطلاق وهن الحـرائر) وهذا مـا قـاله

الإمام. . ثم أتبـعه بتلك اللمحـة الإنسانيـة. . التي يحتكم فيـها إلى دلالة السيـاق على أن العجوز اليـائسة غيـر داخلة فيهـن. . وقد علل على ذلك بقوله: (فإن اليـائسة من شأنها ألا تُطلق. لأن من أمـضى زمن الزوجية مع امرأة حتى يئست من المحيض. . كان من مقتضى الطبع والفطرة. . بل ومن أدب الشرع والدين. . أن يحفظ عهدها. ويرعى ودَّها. . بإبقائها على عصمة الزوجية. وإن كان بعض السفهاء لا يحترمون تلك العشرة الزوجية الطويلة. ولا يراعون ذلك الميثاق الغليظ. فيقدموا على طلاق اليائسة).

ولك أن تتصور عجوزًا. . يدُعُّها رفيقـها دعا. . لتغادر البيت. فتترنح خطاها وهي تتجاوز عتبة بيت بنته على أكـتافها لنجمع عليها هوان السن. . وهوان الطلاق. وكان الظن أن نحـفظ لها حيـاءها. . بعدم تعريضهـا لهذا التبذل الذي كان جزاء سنمار!!

●●●

ورابعًا: إن الآية الكريمة تعظ المطلقة أن تظل في الموقف الأفضل محتفظة بكرامـتها وعـزتها: إن الزوج المطلق قـادر على أن يتزوج بأخـرى في نفس اللحظة التي طلق فيها. . أما الزوجـة. . فإن الشرع لا يعطيها ذلك الحق. . وإذن. . فربما تسـرعت. . وحاولت أن تسـبق رزقها. . مـتشـوفةً إلى زوج جديد. . تغايظ به رفيق الأمس. وربمـا تخايلت. . أو تمايلت. . أو خضعت بالقـول. . حتى تلفت إليـهـا النظر. . يحملهـا على ذلك تصـورها لموقف مطلقهـا. . والذي يتأهب اليوم لـصيد جديد. وقـد ينتهزهـا الشيطان المريد فرصـة ينفث فيها سـمومه. . بإيهامـها أن تكون زوجة لآخر. . وعليـها أن تسـابق المطلق. . لتسـبقـه. . وتجيء الآية الكريمة لتـربط على قلبـهـا. . لتتريث. . وتتـحمل. . وكل آت قريب. . فأرزاقنا. . كـآجالنا. . تطلبنا. .

وهي أتية لا ريب فيها. يقول صاحب المنار:

(وفي التعبير بقوله (تعالى): ﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِن﴾) من الإبداع في الإشارة. والنزاهة في العبارة. ما عهد في كل القرآن.. ولم يبلغ مراعاة مثله إنسان: فالكلام في المطلقات.. وهن معرضات للزواج. وخلو من الأزواج. والأنسب فيه: ترك التصريح فيه بما يتشوفن إليه. والإكتفاء بالكتابة عما رغبن فيه. (وعليهن أن يملكن رغبتهن ويكففن جماح أنفسهن إلى تمام المدة المحدودة والعدة المعدودة. ولكن بطريق الرمز والتلويح. لا بطريق الإبانة والتصريح).

obeikandl.com

لحظة الفراق
بين تصفية الحساب.. وتصفية النفوس

يقول الله (عز وجل): ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

تمهيد:

إذا قلت لصاحبك يومًا (رحمك الله) فأنت واثق بالإجابة.. كأن الرحمة حدثت بالفعل.. وأنت تخبِر عنها..ومن ناحية أخرىٰ فهو لون من التفاؤل.. لا تحسه إذا جئت بصيغة الأمر فقلت: أطلب الرحمة..

فإذا قلت لولدك: افعل كذا.. فإنه أمر.. ومادام أمرًا فهو عرضة للامتثال.. وللاحتيال، أما إذا قلت: ولدي يفعل الحَسَن، فأنت بإيثارك صيغة الخبر علىٰ صيغة الأمر يتحقق ما يلي:

الثقة به.. وأنه أهل لذلك .ثم هو حض له علىٰ المسارعة بالإلتزام.

والأصل في ذلك قوله (تعالىٰ): ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ..﴾ [البقرة: ٢٣٣] لم تقل الآية الكريمة: ليرضعن.. بالأمر!، وإنما تفاؤلاً، وثقة: تتحدث عنهن كأنهن يُرضعن فعلاً.. وليست هناك مشكلة!.

نفس هذا المعنىٰ نلحظه في قوله (تعالىٰ)، وفي الآية التي نحن بصدد التعليق عليها: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ﴾ [البقرة: ٢٢٨] فالأصل هنا هو الأمر هكذا [لِيَتَرَبَّصْنَ..] لكن الحق (تعالىٰ) جاء به (سبحانه) علىٰ صورة الخبر [يتربصنَ] (تأكيدًا للأمر، وإشعارًا بأنه مما يجب المسارعة إلىٰ امتثاله) فكأنهن امتثلن فعلاً، ثم يخبر عنهن بذلك، ثقة بالنساء..!

وهي لفتــة قرآنية تُعلي من شأن المرأة التي هي دائمًــا عند حسن الظن بها، وتُحبط في نفس الوقت تلك الرؤية المتشائمة للمرأة التي يظلمونها حين يصورون الأنوثة وحشًا كاسرًا يدمر الحياة، فقد زعم الزاعمون.

أن الأنثى، وَحْشٌ ينقَضُّ على الفريسة بلا هوادة، فأنثى العقرب وأنثى العنكبوت، وبعض إناث السمك، كلها، تتربص بالذكر، ثم تقتله!! وهكذا المرأة لأنها أنثى! لكن القرآن الكريم بهذه اللفتة الإنسانية يصحح صورة المرأة في أذهاننا وقلوبنا. بهذه اللمسةالموحيــة. فكأنها جاهزة للامتثال، وليس من طبعــها قتل الــرجال.. وإنما هي جزء من القــضية.. تســهم بدورها.. في تجاوز المحنة بســلام.. مشمولة بثقــة وطيدة في حكمتهــا.. قبل الطلاق.. وبعد الطلاق.. وإنهــا لا تفعل شيــئًا خارج التــوقعات.. ومع أنهــا تعيش لحظة اليأس العقيمة فإنها تفعل ما تؤمر.

●●●

إن الزوجين يعيشــان الآن لحظةَ حاسمة.. وقاصــمةَ في نفس الوقت: فهــا هي ذي أيامهمــا الجميــلة تسقط في آبار الزمن.. ولكن تبــقى لها في القلوب جــراح.. وتُفتــح النوافذ أمــام تغــيرات واحــتمــالات.. لا ندري عُقباها.

●●●

ولا تأمــرها الآية بمحــاولة التــودد إلى من يدمــر حــيــاتهــا.. حــتى يرحــمهــا.. لكنهــا مــأمــورة بأن تسهم بــدورها.. حتى يتــجــاوز الزورق المضــيق.. ولا مجــال لليأس من المســتــقبل.. وليــبق الأمل في التجــديد قائمًــا.. إنها محاولة «التــسريح بإحسان» تــسهم المرأة في صنعها بالتــحمل والمصــابرة.. وهو ردع لهؤلاء الــذين يحرصــون على أن يجــعلوا من لحظة

الفـراق مأتماً وعـويلاً: اللائي لا يتـربصن مُـضيَّ مدة الـعدة بسـلام.. بل يتربـصن بالطرف الآخر الدوائر.. في مـحاولة لتـشويه الآخريـن.. هدماً للماضي برمته! مع أن.. المطلَّق ما زال.. مُـسلماً.. له حقوقه التي يجب الحرص عليها..

●●●

ومن بلاغة الآيـة الكريمة: أن تجيء على هذه الصيـغة ﴿والْمطلَقـات يتربَّصْن﴾ وليس: [يتربصن المطلقات] ذلك بأنك لو قلت: كتب زيد.. فقد ذكرت الفاعل مرتين: ذكرته باسمه الصريح أولاً.. ثم بضميره المستكن آخر الجملة.. ﴿والْمطلَّقاتُ يتربَّصْن﴾ يقول التوحيدي: (وبناؤه على المبتدأ مما زاده فضل تأكيـد: ولو قيل: (يتربص المطلقات) لم يكن بتلك الوكـادة.. وهو كلام حسن. وإنما كانت الجملة الابتدائية فيها زيادة توكيد. على جملة الفعل والفاعل. لتكرار الإسم فيها مرتين: أحـدهما بظهوره. والأخرى بإضماره. وجملة الفـعل والفاعل يُذكـر فيهـا الاسم مرة واحدة) ومن فـوائد التعبـير [بأنفـسـهن] أن تباشر المطلقة مهمـة التربص بنفسها.. ولا تنيب عنها من يقوم بالتربص.. وهي لفتة تراعي مـوقف المطلقة الطامحة إلى عش جديد. والتي ربما حملهـا ذلك على التسـرع.. والتساهل.. فكان لابد من إضـافة هذا التوكيد الذي يجعل من مباشرتهـا التربص بنفسها أمراً جازماً لازماً. لا يجوز الترخص فيه.

●●●

ونتهي مـع المفسرين من هذه اللـمحات البـلاغية.. ولكـن يبقى في القلب مزيد من الإجلال والهيبـة لهذا القرآن العظيم: الذي يقف إلى جانب المطلقة في ساعـة العسرة.. حتى تخرج من التجـربة المرُة.. سالمة غانمة..

وإذا كان الزوج الفاشل يقـول: (التوفيق بين وجهتي الـنظر معناه: ألا تأخذ بواحدة مـنهما..) إذا كـان يقول ذلك مما يتـسع به الخرق على الراقـع فإنما يعـبرون عن أهوائهم.. ولـكن الاسلام العظيم له مـنطق آخر.. يفـتح به الطريق إلى تجربة أخرى.. يجدِّد بها الأمل.. ويُصلحُ العمل.

obeikandl.com

بعيداً عن المهاترات

يقول الله (عز وجل):

﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

كان لفظ «المطلقات» في مقدمة الآية الكريمة.. إشارة إلى أن القضية تهم المرأة بالدرجة الأولى، فلتكن مهمة التربص إليها وحدها، لأن الزوج لا تعنيه القضية بنفس النسبة، بل في إمكانه أن يتزوج أخرى ـ الآن ـ وعند نفس موثق الطلاق، وفي ذكر «النفس» تهييج للمشاعر، وإثارةٌ للكامن هناك في القلب من أحاسيس الكرامة، وكأنها رسالة موجهة إلى المرأة تقول لها: إن نفسك طموحة إلى زوج آخر، ولكن إذا كان من حقك أن تفعلي شيئًا، فإنه الطموح، وليس الجموح!

ومنطق العزة يقول: من تركنا فلنتركه!

نستدبره، اتكالاً على الله (تعالى) ولكن بلا مهاترات ومشاجرات، وإنما هو الوقار الذي يجعل من عودة الرفيقين إلى الوفاق ممكنًا غير مستحيل..

إن التربص يعني: الترقب، واجتماع الذهن، واليقظة، وما يَمشي به ذلك كله من صمتٍ لا نُعكره باللفظ النابي، أو الحركة الطائشة، والتي قد تنسف فرصة التفاهم، والعودَ الحميد إلى الصفاء من جديد.

فلتستبعد المرأة تلك الأفكار السوداء، والتي تناوشها من قريب، ذاكرة أن الله (سبحانه وتعالى) أنزل لنا الحديد، ولكنه لم يصنعه لنا سيوفًا!

وهو (سبحانه) الذي حد لنا الحدود، لكننا نحن المسئولون عن الحفاظ

عليها، وتفعيلها لتكون واقعًا ملموسًا..

أجل: لقد مضى السبت، وكان الحدُّ في الأحد!!، لقد وافت ساعة الصفر، وها هو ذا الفُلك على وشك الرحيل، ومضت أعوام السرور، كأنها أيام.. وانصرمت أيام الهم.. كأنها أعوام.. فماذا علينا اليوم؟

علينا أن نلتزم بحدود الله (تعالى).

●●●

إن الزوج.. ما زال مؤمنًا.. والزوجة كذلك.. مؤمنة.. فكيف يدب الخلاف بينهما.. ولديهما من أسباب الوفاق ما هو عصى على الفناء:

كلمة التوحيد.. لا إله إلا الله. ووحدة الكلمة.. ﴿واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، فلماذا يتحول الأمر بالطلاق إلى ما يقوله الشاعر اليائس:

(تضيق بنا الأرض..
تحشرنا.. في الممر الأخير..
فنخلع أعضاءنا كي نمُرّ..
نسير إلى بلد ليس من لحمنا..
ليس من عظمنا..
نسافر كالناس.. لكن لا نعود إلى شيء..
أصبحنا نعانق جلادنا كي نفوز برحمته..
هناك ليل أشد سوادًا..
هنا ورد أقل..
لم نعد نُودِّع فقط ما فات.. وما مات..
بل أصبح علينا..

أن نودع ما سوف يأتي).

●●●

إن هذه النظرة التشاؤمية للحاضر والمستقبل.. مرفوضة باسم الإسلام، لقد وقع الطلاق فعلاً، ولكن من هو المسئول؟

المسئول هو: من أساء استعمال الحق..

●●●

وصحيح أن عقد الزواج قام على ثنائية التكوين، مع اتحاد حركة الزوجين صوب الهدف تمامًا كالليل والنهار.. فالطبيعة مختلفة، لكن الحركة في اتجاه الهدف.. إنهما يتكاملان.. وفي النهاية هما معًا، لمصلحة الإنسان. وكذلك الزوجان..

لكن ذلك لم يتم. ومن التسليم بقضاء الله (تعالى) ألا نُضيع أيامنا في البحث عن من المسئول، فكلنا ركاب سفينة غرِقت، وبفعلنا جميعًا..

●●●

إن الحساسية المفرطة قد تفوز في دمائنا، فنفعلُ ما لا يليق بنا، وكان الأعرابي الأمي أعرف بشئون الحياة منا.. هذا الأعرابي الذي سمع قوله (تعالى): ﴿الأعراب أشد كفرا ونفاقا﴾[التوبة: ٩٧]، فانتفض الرجل وهب مذعورًا، لكنه سمع في نفس اللحظة من يقرأ قوله (تعالى): ﴿ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر﴾[التوبة: ٩٩]، فقام مسرورًا وقال:

الله أكبر: هجانا.. ثم مدحنا..

هجوت زهيرًا.. ثم إني مدحتُه..

وما زالت الأشراف: تُهجى وتُمدح..

وإذن فلماذا لا نخفف من الإحساس بالذات.. ذاكرين أنَّ ما حدث

هو قضاء الله.. وأنه (تعالى) كما جمـعنا.. فقد فرقنا..وهو (سبحانه)في الحالين حكيم لطـيف يجمع، ويفرق، طبق حكمـته البالـغة: ويوم لنا ويوم علينا ـ ويوم نساء.. ويوم نسر.. فلنرض بحكمه ثقة بحكمته!

●●●

وقد كنت أحـضر بعض هذه المجـالس الحساسـة، فيرو عني السـبابُ المتبادل، والذي لا يسـتهدف القضـاء على أسباب العلة، وتجفيـف منابعها، وإنما هو محاولة التشويه، والفَنَاء في وجهة النظر الذاتية.

●●●

ومـا زلت أذكر ذلك الزوج الذي انتـفخـت أوداجه مـعتـزًا بأنه طيب السيرة التي تُروىٰ بكل لسان.. وسارت بذكرها الركبان..

وتجيئه اللطمة المسكتة من زوجته التي ترد عليه قائلة:

ما يهمني أن تكون لكل الناس .. وفي عيون كل الناس.. إنما أريدك رجلاً عاديًا.. ولكن لي.. وحدي.. فبُهت الذي افتخر!!

المطلقة
عند حسن الظن بها

يقول الله (عز وجل):

﴿ وَلا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ﴾ [البقر: ٢٢٨].

عندما تكون القضية من شأن الرجل، فهو وحده القادر على تحمل تبعاتها.. المؤتمن على الوفاء بها.. وبنفس القوة: إذا كانت القضية نسائية فإن المرأة هي المؤتمنة على حراستها وتحمل تبعاتها.

ففي «الإيلاء». وعندما يقرر الزوج عدم مباشرة زوجته لسبب ما، فالأمر عندئذ إلى الزوج، أما هنا، فإن القضية بيد الزوجة المؤتمنة على إعلان ما خَلَقَ الله في رحمها. ويعني ذلك: أن المرأة أمينة في قضية هي وحدها المرجع الأخير فيها، والقول فيها ما قالت حذام، وإذا قالت حذام فصدقوها.

••

والمتوقع كتمانه هنا هو: الولد.. وقد يكون ذلك بالإجهاض، استعجالاً للخلاص، أو دم الحيض، تطلعًا إلى فراش جديد وزوج جديد، والتحذير من الكتمان له ما يسوغه، (فالنساء أرغب في العودة من الرجال، مع ما بهن من النقص في العقل والدين، فكان ذلك ربما حملهن على كتم ولدٍ، لإرادة زوج آخر: تقصيراً للعدة، وإلحاقًا للولد به).

وهكذا قال المفسرون.. **قال سليمان بن يسار:**

(لم نؤمر أن نفتح النساء، فننظرَ إلى فروجهن، ولكن وُكِلَ ذلك إليهن إذ كنَّ مؤمنات).

●●●

ولاحظ أن من تكريم المرأة أن يقال عنها:

﴿ولا يحلُّ لهنَّ أن يكتمن ...﴾ [البقرة: ٢٢٨]. ولا يقول سبحانه: [يحرُم عليكن الكتمان] مثلاً، إنك قد تقول لرجل ظالم: أنت كاذب، وقد تقول له: هذا كلام يجافي الصدق، والفرق واضح، ولفظيٌّ. لكن المعنى واحد، والسياق الكريم هنا يرحمها فيطوي اللفظ الذي قد يصدم مشاعرها، إيثاراً للفظ الودود الذي يحرك المشاعر برفق ولين، وذلك رفقًا بالقوارير في أشد اللحظات حرجًا حتى لا نجمعَ عليها همين: هم الفراق وهم الخطاب!

فإذا استيقظت مشاعر المرأة من رقادها.. واجهها النص الكريم بما يلهب هذه المشاعر وذلك قوله (تعالى): ﴿إن كُنَّ يؤمنَّ بالله واليوم الآخر﴾ [البقرة: ٢٢٨] إنه لون من التهييج - لبيان خطورة الأمر - وبالتالي ضرورة الالتزام.

فالحرف «إن» يدل على الشك، وعندما تحس المؤمنة بأن إيمانها يأتي في معرض الشك، فإن ذلك مما يثيرها لتَهُبَّ في عملية استجابة بهذا الإيمان الذي يوشك أن يذهب به الإعصار!!

يقول بعض الباحثين:

(والتركيز على أهمية الإيمان بالله وصفاته والإيمان بالغيب والآخرة أمر ضروري حين يراد تطبيقُ منهجٍ إلهي، يحكم سلوك الناس، ويقيم واقعهم على وِفْقه).

●●●

إن الزوجة قد تـظن أنها في هذه اللحظة حرة في أن تفعل مـا تشاء، على الأقل حفـاظًا على كرامتهـا التي تظن أنها تمتهن الآن، ولكن السـياق يؤكد لها أن كل حركة لها، إنما هي جزء مـن عقيدتها وأنها إذا كانت تؤمن بالله واليوم الآخر فعـلاً، فيجب عليها أن تتصـرف بوحي من هذه العقيدة، وأن تتجنب كل ما لا ينسجم معها. . وإن بدا هينًا.

●●●

وهنا نذكـر مـلامح المنهج الإسـلامي في التـربيـة، والذي غـاب من حياتنا، فتراكمت في غيابه المشكلات، يقول نفس الباحث:

(. . وقد أمـضى الرسول (ﷺ) ما يزيد على عشـر سنوات في إرساء دعائم الإيمان بهذه الحـقائق وتدعيمهـا، وصَرَّف الله (سبحانه) الآيات فـيها تصريفًا، حتى إذا ثبتت الدعائم، واستقرت الأركان، نزلت الأحكام تترى، وهي توجب أو تحلّ أو تحرِّم، فوجدت آذانًا سمـيعه، وقلوبًا واعية، وأرضًا خصبة طيبـة، أحسن إعدادها لتَقَبَل التشريعات، فما كـاد يلقي فيها البَذْر، حتى انشق عنـها الزرع، ثم كان اسـتواؤه ونماؤه: ﴿ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ ﴾ [الفتح: ٢٩].

وهكذا يربي الإسلام المسلم: يقوي إرادته، ويوقظ مـشاعره، ثم يُعينه على نفسه بإيجاد المجتمع الصالح، والبيئة الطيبة التي تتخذ شعارها ليكون: الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

●●●

إن الجنين في بطنها، ليس من عملها وإنما هي فـقط وعاء له ومستقر. والله (تعالى) هو الخالق. . وقد نتعجـل وضعًا ربما كان ضارًا بنا، من حيث كانت العجلة مانعة من التبصر، وتقدير العواقب.

obeikandl.com

وعلى الطرف الآخر، لا ننسى مهمـة الزوج وأهله معه، ليكون الوفاء رائدهم مع من كانت واحدة منهم يـومًا، إنها اليوم تَجْتَر ذكـرياتها، ولسان حالها يقول: تعبت.. تعبت.. أما من نهاية وما من وصول؟ لدربي الطويل لأية غاية! أجُر السنين، ودربي يطول!

●●●

إنها اللحظة التي تمتحن فيها الرجـولة، والتي يثبت الزوج فيها أنه كان وفيًا، أمس.. وغدًا، وفي السراء والضراء.. **ذلك الزوج الذي**:

إذا حاورته.. وجدته عليمًا..

وإن خيَّرته .. كان حكيمًا..

وإن غضب.. كان حليمًا..

وإذا ظفر.. كان كريمًا..

وإذا وعد وفَّى. وإن كان الوعد عظيمًا.

وإن شكى إليه.. كان رحيمًا

obeikandl.com

مانعة الصواعق «أ»

كان طبيـعيًا أن تندُب «المطلقة» حظها بـينما زميلاتها ناعـمات بالعيش الرغيد في بيت سعـيد، لكن غير الطبيعي أن يتـحول الموقف «نياحة» تنادي بالويل والثبور وعظائم الأمور، ونحن مـأمورون بالتـخفيـف من حدة هذا التوتر، إراحة لأنفسنا: وهو ما تخيله الشاعر «جبـران» عندما حاور الزهرة التي بللهـا الندى، والتي قال لهـا: لماذا تبكين؟ قالت: لأن الإنســان يقطع رءوسنا! يخـرجنا من أرضنـا، يعُب من رحـيقـنا، ثم بعـد ذلك، يدوسنا بقدميه، يرمي في النهر الطهور بما يقصم الظهور!

●●●

وهو النموذج نفـسه الذي اختـرعته مـخيلة «المعري» على لسـان امرأة تندُب حظها العاثر، من خلال حوارها مع النحلة الهائمة، والتي تقول لها:

لمن تعملين أيتها النحلة؟ لمن تكسبين؟

يجيئك من يستخرج العسل بآلته،، ثم يلعق هذا العسل..

بينما أنت مستكينة لا تلسعين!

●●●

ولكن المرأة العاقلة تلعق جراحها، وفي اللحظة التي يقول لها زوجها: أمرك بيدك! . . فإنها تقول له:

قد كان أمري في يدك عشرين سنة. . فحفظتَه. . فلا أُضيعه أنا. . في ساعة واحدة!، وقد رددته عليك. . فأمْسكَها!!

●●●

لقــد عزم الرجل الطلاق، وطوَّح بخُـمس قــرن من الزمان، في بئـر الزمان، ولكن الزوجة كانت أذكى منه، وأحرص منه على حياة لا ينبغي أن تتبدد هكذا، وبالضربة القاضية! لقــد جمعت أطراف حكمتها، فكانت ذلك النجم في أفقه العالي:

ألا وإن في أعــماقــها كــالنجم.. حــريقًا.. لــكنها قــررت أن تكون بالحكمة نورًا، يثبِّت الله به الخطى على الطريق الطويل..

لقد جاء الرجل كــالعاصفة الهوجــاء كشحنة كهــربية تدمر كل شيء، لكنها كانت مانعة الصواعق، التي امتصت تلك الغضبة المضرية الهاجمة!

●●●

وصحيح أن هناك حالات نفسيــة قد تحمل الزوج على أن يجعل غزله من بعد قوة أنكاثًا..

ولأن كلمة الطلاق لا تضر الزوج وحــده، فإن على الزوجة عندئذ أن تحسن التعامل مع الموقف القاسي. ومن حسن التعامل، أو من حسن التبعل: أن تتجاوز لحظة الصبر، إلى مرتقى «الاصطبار»..

أن تتــجـــرع الكأس، وإن كــانت شــديدة المــرارة، من أجل أن يكف الزورق عن الترنح، ويستقرَّ به النَّوى على الشاطئ الآمن.. سالمًا.

●●●

وقد يفجِّر فينا ذلك الموقف العاقل معنى من معاني الحكمة الإسلامية، والتي وجَّـهت الزوج إذا قرر الفـراق.. أن يكون ذلك في طهــر لم يباشــر زوجته فيه..

لماذا؟

إن صحة الزوجة عندئذ: النفــسية والجسمية تكون مــختلة بل معتلة..

obeikandi.com

وذلك أثر من آثار الحيض الذي قالت الآية الكريمة فيه: ﴿قُلْ هُوَ أَذًى فاعتزلوا النساء في الْمحيض﴾ [البقرة: ٢٢٢]، إنه أذىٰ، يسقط منه ظل قاتم علىٰ «مزاج» البيت العام، ومن آثار ذلك خَللٌ في الأقوال وخطل في الأفعال..

لكن منطق الزوجة هنا كان دليل صحة نفسية، أتاحت لها أن تحسم القضية بهذا المنطق البليغ.. المسكت!، ويمكن أن يكون رسالة موجهة إلىٰ الزوج أن يتخير الوقت المناسب.. فربما إذا انتظر حلول هذا الوقت المناسب ألا يجد ما يغضبه!!

●●●

علىٰ أن للقضية جانبًا آخر، ربما فرضه علىٰ الزوجة هنا أن تكون أكبر من الموقف برُمته:

فقد يكون لها أولاد، فهي تُرغم نفسها علىٰ تجرع الهوان من أجل «عزة» أبنائها، وفي الوقت الذي يبدو فيه الزوج عاصفة، بلا عاطفة، كأنما هو الحاكم المطلق، في هذا الوقت بالذات، توافيه تلك النسمة البليلة، العليلة، والتي تؤكد أن المرأة في ضعفها، قد تكون أقوىٰ من رجلها!!

●●●

ومن ناحية أخرىٰ:

فلو وقع الطلاق، وكان الفراق، لا نعكس الحدث علىٰ قلوب الصغار غيماً قاتمًا، لا يزول..

ذلك بأن للبيئة العامة.. والبيئة الخاصة آثارهما علىٰ زغب الحواصل، ، من أكبادنا:

وخذ مثالاً علىٰ ذلك:

إن الطفل الفرنسي.. يولد.. وعليه من «شك» ديكارت برهان..

والطفل الإنجليزي.. يولد.. وعليه من واقعية «بيكون» أمارات..

والطفل الألماني.. يولد.. وعليه من شخصية «كنت» سمات وقسمات..

وإذا كانت للبيئة العامة هذا الأثر.. فكم يكون للبيئة الخاصة؟

كم يكون للأسرة من خطر؟ مما يفرض على الزوجين كليهما أن يتدبروا قبل اتخاذ القرار فرارًا من النار:

نار الدنيا.. قبل نار الآخرة. وأنه ليس ضروريًا أن يكون المرء ضد أي شيء.. وإنما هو الحرص على التفكير في جوهر المشكلة.. انتظارًا للفرج.

أما بعد...

●●●

فإن موقف الزوجة التي ردت بحكمة على زوجها.. من شأنه أن يَهُز ضمير أخت لها.. لم تحسن التعامل مع زوجها لحظة الغضب.. فطلقها.

وكأنما تقول لها:

إن الزوجين المؤمنين.. عندما يعتصمان بالحق.. فسوف يواصلان الرحلة من جديد..

فإذا عاندت المرأة.. فإن الزوج لم يطلقها..

وإنما طلقها الحق الذي تجهمت له. في الوقت الذي أحبطت فيه أخت لها كيد الشيطان:

بجُرعة حِلْمٍ.. ردت بها كيد الشيطان.

وجُرعَة صبرٍ.. تجاوزت بها الأحزان.

مانعة الصواعق «ب»

يقول (عز وجل):

﴿.. وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلاحًا﴾ [البقرة: ٢٢٨]

والبعولة تعني احتياج المرأة إلى الرجل الذي يشبه النخل البعل الذي يشرب بعروقه مستغنيًا عن البستاني، وإذا كان هو أحق بردها.. فإن ذلك مشروط، بكونه يريد الإصلاح..

(وهذا تنبيه على أنه: إن لم يرد الإصلاح.. وأرادت هي السراح.. كان في باطن الأمر زانيًا..).

●●●

قال العلماء:

(.. والإصلاح لخلل ما بينهما.. أحق في علم الله وحكمته من افتتاح حياة ثانية.. لأن تذكر الماضي يخل بالحاضر)

●●●

فإذا انقضت العدة.. صارت أحق بنفسها منه.. لانقضاء حقه.

●●●

على أن التصريح بالإيمان بالله واليوم الآخر.. في ﴿إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ [البقرة: ٢٢٨] له دلالته. فيما ذكره العلماء: (أي: فإن كتمن شيئاً من ذلك. دل على عدم الإيمان. وفيه إشعار بإثبات نوع نفاقٍ على الكاتمة ما في رحمها).

●●●

ونعود إلى القصة من أولها:

[هذا فارس الأحلام قادم.. يمتطي صهوة جواد أبيض.. كما تصورته البنت.. زمان!!

ومع فارس الأحلام.. طاب الكلام.. وطاب المُقام.

ثم تبدأ المعاشرة بالمعروف.. والمعاشرة تعني الاحتكاك.. ومعنى الاحتكاك: أن تنطلق شرارة.. تضيء.. ولا تحرق.

ثم تبدأ المشكلات.. مع غروب الشخصية الوردية لفارس الأحلام..]

وفي أغلب الأحيان تكون المشكلات سهلة.. ميسورة الحل.. ولكن بعض الناس لا يملكون من الشفافية ما يستعلون به على الواقع الطارئ.

ثم.. تجئ ساعة الصفر.. ويتفق الطرفان على.. على الطلاق! ولكن الإسلام المسماح.. يُبقي على الباب مفتوحاً.. ليظل طريق العودة لاحباً.

فقد يكون هناك تحت الرماد.. وميض نار!.. لعل هناك في القلب من الود القديم بقايا.. تؤكد أن ذلك الود.. وإن تجمد يوماً.. فإنه.. لا يموت أبداً.

إن الإسلام متحيز للعلاقة القديمة أن تعود بل وأرقى مما كانت.. والإصلاح.. إصلاح العلاقة الأولى.. أولى من السراح! والإبقاء على الزوج الأول.. أفضل من الاستفتاح مع زوج جديد.. ذلك بأن تذكر الماضي مع الزوج الجديد.. يكدر الحاضر.. طبق القاعدة القائلة: (تذكر الماضي.. يخل بالحاضر).

دواء الصبر:

والأزواج ـ على أي حال مكلفون بالصبر.. يتجاوزن به المحنة الطارئة.. وكفى بالصبر دواء وشفاء:

ورحم الله القائل:

صـبِّـر النفس عند كل ملمّ ... إن في الصبر حيلة المحتال
لا تضيقنّ في الأمور فقد ... يُكشَف لأواؤها بغير احتيال
ربما تجزع النفوس من ... الأمر: له فرجة كحل العقال
قد يصاب الجبان في آخر ... الصف.. وينجو مُقارع الأبطال

●●●

ومن المفيد هنا أن نختم الحديث بموقف تستحيل به المعاني السابقة إلى حقيقة واقعة.. نستبين بها الوفاق بين الرفاق حتى نشد إلى مثله الرحال.. متجاوزين صغار الآمال: كان العز بن عبد السلام كريماً: ومن كرمه أن زوجته أعطته ذَهَبَها ليشتري به بستانًا.. ليصيِّفوا به.. ولكن الرجل تبرع بثمنه في سبيل الله.. فلما سألته قال: اشتريت به بستاناً في الجنة!! فقالت: جزاك الله خيراً!!

لقد كان (العز) في.. العزة.. بناءً عتيداً.. ثم كان في السخاء.. بحراً مديداً!

وكان مع زوجته ذلك التفسير العملي لسنة رسول الله (ﷺ): لقد كان (العز رحمه الله تعالى): تلاّء لكتاب الله.. أماراً بالمعروف.. نهاء عن المنكر.. ومن هذا المنكر ما تنوء به الأسر اليوم من إحجاف بميزانية البيت إرادة «التصييف».

ولم يكن قصاراه أن ينهي.. ولكنه قبل ذلك انتهى.. وقد تمت النعمة بزوجةٍ.. أعانته على أمر الله.. ومن كان كذلك.. ألهمه الله تقواه.

●●●

وإذا كـان قد أعـجبك السـخاء . . والوفـاء . . فليكن عجـبك أكبـر . . بل إعجابك بهـذا الزوج الذي لاقى من زوجته العذاب ألواناً . . ولما أُشـير عليه بتطليقـها . . رفض . . محتجـاً بأنه تعوّد على إساءتها . . وربمـا تزوجها من بعده من لا يطيق عدوانها . . وإنه لَيُفضِّل أن يغيرِّ عادة إحسانه إليها . . حتى لا يغير الله (تعالى) إحسانه إليه .

obeikandl.com

أريحية البعولة ..لا غشم الفحولة!

يقول (عز وجل):

﴿ .. وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلاحًا ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

قد تكشف «العـدة» عن نقص في وعي الزوج صاحب القـرار.. قرار الطلاق.. وذلك حين تهدأ الأعصاب.. وتنحسر غشاوة الانفعال.

تنحسر عن قرار مبتسر.. فطير.. غير مدروس.. ولا مأتوس... لأنه يرفض العودة إلى مـائدة المفاوضات.. مـاضيًا بالعـلاقة الزوجية إلى حـافة بركان من التوتر.. تنعكس آصاره على أفراد الأسـرة جميعاً.. لقد «سكَّ» قرار الطلاق.. فصار في وهمه «عملة» يصعب محو نقشها!.. حين تصور الاختلاف بيـنه وبين زوجته اختلاف مـصير.. بينما هو في الـواقع اختلاف رأي.. أو رؤية.. إنه تـداخل الآراء.. وتشـابك المصـالح.. إنه إذن التداخل.. وليس هو التقـابل.. ولا التقاتل.. ومن ثم.. يمكن فض هذا الاشتـباك حين نتـجاوز السيف.. إلى الحـوار.. واللكمة الموجـعة.. إلى الكلمـة المقنعة.. ليـتبـين لنا أن الطلاق لم يكن معـركة حـاسمـة.. وإذا الأحبـاب كل في طريق.. وإنما المقـام للمصـابرة.. والإبقاء على كُـوّة من الأمل مفـتوحة.. مدركين أن الزواج شـركة نملكها مـعاً.. ويعني ذلك أننا شركاء.. لا أعداء.. ونحن مطالبون بمواجهـة عدو مشترك هو الشيطان.. بدل أن نبـدد طاقتـنا في لحظات يمتـزج فيـها الـواقع بالخيـال.. والأرواحُ بالأشبـاح.. نبحث عن عـدو.. لا وجود له إلا في خيـالنا.. ومن صُنع أوهامنا!

البعولة.. لا الفحولة:

إن بعض الأزواج قد يتصرف بمنطق الفحولة.. بمعنى: أنه يتصور نفسه مركز الكون.. وعلى كل من في البيت أن يدرو في فلكه.. إلى الحد الذي إذا عطس.. فإن الزوجة يجب أن تصاب بالزكام؟! وإلا.. فالموت الزؤام! ولكن تكاليف «البعولة» لها مذاق آخر:

إن «البعل» من النخل ما نما بذاته.. مستغنياً عن البستاني.. والزوج في هذه اللحظات العصيبة.. هو بعل.. هو تلك الشخصية المستغنية عن هذه الزوجة الضعيفة.. فَلْنُفْسحْ للأريحية مكاناً في قلوبنا.. وذلك ما تستهدفه الآية الكريمة حين تلوِّح بالرجعة.. بالعودة إلى العش المهجور.. وأن ذلك هو الاحتمال السائد، ، وما سواه فهو الاستثناء من القاعدة.

●●●

إنه.. مهما اتشحت سماء البيت بالسواد.. فإن خيوط الضوء.. نَفَّاذة.. قادرةٌ على أن تطرد الظلام.. وإذ تجعل الآية الكريمة حق العودة ملكاً للزوج.. فلن يكون ذلك افتياتاً على حق الزوجة.. ولا نقصاً في كرامتها.. لأن منافع العودة لن يستأثر بها الزوج وحده.. وإنما هي مقسومة على الإثنين.. وعلى سواء.. بل ربما كان نصيب الزوجة أربى من الزوج نفسه.. من حيث ضعفها.. وحاجتها إلى الستر.. فراراً من ألسنة الشامتين والعاذلين.

●●●

القاعدة.. والاستثناء:

الأصل إذن ألا يكون طلاق بالمرة.. فإذا حدث ووقع المحظور.. فإن طريق العودة يظل مفتوحاً.. وخطَّ الرجعة قائماً.. حتى تذهب السكرة..

وتجيء الفكرة.

وتأملوا معي قوله (تعالى) (بعد الآية التي نحن بصدد التعليق عليها):

﴿ فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره فإن طلقها فلا جناح عليهما أن يتراجعا إن ظنا أن يقيما حدود الله ﴾ [البقرة: ٢٣٠].

إن الآية الكريمة تتحدث عن موقف بلغ التوتر فيه منتهاه.. وذلك عندما يعزم الرجل على الطلاق للمرة الثالثة.. وما يترتب عليه من فصام.. بعد الخصام.. تأملوا:

إن الزوج الأول ما يزال على الساحة.. ينتظر غائباً يوشك أن يعود.. والغائب هي زوجته.. التي تتحدث عنها الآية في عصمة زوج آخر.. (زوجاً غيره). ومع اشتراط عقد النية على زواج دائم.. لكن الأية الكريمة تعتبر الزوج الثاني «شخصية غير مرغوب فيها» لأنه لم يكد يظهر على المسرح حتى تفاجئنا الآية الكريمة قائلة: ﴿ فإن طلقها.. ﴾ أي: إن طلقها الزوج الثاني.. إنه وإن كان زوجًا شرعيًا.. لكنه ضيف.. أو سحابة صيف.. واحتمال تطليق زوجته قائم.. لتعود مرة أخرى إلى العش القديم.. والود القديم.. شريطة العزم الأكيد على إقامة حدود الله (تعالى).. بتلافي الصغائر التي وصلت بنا إلى ما لا نريد.

وفي ذلك ما فيه من حفاظ على كرامة المرأة التي يصون القرآن الكريم.. كرامتها حتى لا تمتهن من جديد..

إلى جانب ما شرعه الحق (تعالى) الذي جعل حق الرجعة بِيَد الزوج. والذي يشهد على نفسه بأنه هو الذي طلق.. وهو الذي يراجع.. فهو السبب فيما كان.. وليست لها حيلة فيه! لتظل على عرشها أبدًا:

مطلوبة.. لا طالبة.

●●●

أما بعد

فقد انتفض الفتى المغرور من المجلس رافضًا مبادرة الصلح.. بحجة أنه ابن «الأصول».. وقلت له يا ابن الأصول: أعد نظرًا فيما حدث:

لقد كانت زوجتك بالأمس القريب تهدهد وليدك قائلة:

هل من أبٍ مثل آبائك؟!

لقد عمَّمُوا بالشمس.. هاماتهم..

وبَنَوا أبياتهم.. بالشهب..

فماذا هي قائلةٌ له اليوم؟ أين الهامات.. وأين الأبيات؟! لابد من الرجعة.. وإن أبعدتَ النُّجعة!!

obeikandl.com